## الفصل الثاني

# «الإنسان في القرآن الكريم»

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾

[الإسراء: ٧٠]

**ويتضمن:**

- **مقدمة.**
- **القسم الأول: قصّة الخلافة.**
- **القسم الثاني: عداوة الشيطان.**
- **القسم الثالث: الإنسان في القرآن الكريم.**

obeikandl.com

obeikandl.com

# مقدمة

قبل ولادة الطفل يهيىء له أبواه مستلزمات مجيئه إلى الحياة، وهذا الأمر من حادثات الحياة التي أوحى بها الله تعالى للإنسان أن يفعله اقتداءً به قبل أن يخلق الإنسان.

لم يكن الإنسان أول مخلوقات الله، إذاً لارتبك وهو يسبح في ما يشبه المجموعة الخالية وهو ضعيف قليل الحيلة.

قبل الإنسان كانت هناك مخلوقات كثيرة يحدثنا القرآن الكريم عنها في مواضع كثيرة منه.

فقبل أن يستوي الله ﷻ على العرش استواءً يليق بعزّته وجلاله، خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى عليه. ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السَّجدَة: ٤].

وكان خلق الأرض في يومين، ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فُصّلَت: ٩]، ثم جعل الله من فوقها جبالاً ثوابت وبارك فيها فجعلها دائمة الخير لأهلها القادمين إليها، وقسّم أرزاقهم في يومين آخرين، فتم خلق الأرض وما عليها في أربعة أيام مستوية لمن يسأل عن مدة خلق الأرض وما فيها، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فُصّلَت: ١٠].

بسط الله الأرض طولاً وعرضاً، وجعلها صالحة للعيش والحياة، وجعل فيها جبالاً ثابتة وأنهاراً تجري بالمياه العذبة، ومن كل الثمرات جعل زوجين اثنين، ذكراً وأنثى ليتلاقحا وتنضج ثمارهما، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الرعد: ٣].

ثم عمد سبحانه إلى خلق السماء وكانت سديمية كالدخان ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى

﴿ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] ، فأتمّها سبع سماوات وفرغ من خلقهنّ في يومين آخرين ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢] ، ورفع السموات بغير عمدٍ تشاهد بالأنظار، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرّعد: ٢] .

وكان يعلم سبحانه وتعالى ما يدخل في الأرض ويستتر فيها، ويعلم ما يخرج منها من مختلف أنواع النبات والمياه وغيرها، وما ينزل من السماء من أمطار وغيرها. ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد: ٤] . وطلب إلى السماء والأرض أن تستجيبا لأمره طائعتين أو مكرهتين، فقالتا: أتينا طائعتين منقادتين لأمرك لانعصيك أبداً.

والرعد يسبّح بحمده والملائكة من هيبته وجلاله، ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرّعد: ١٣] . ينزّهونه عما لا يليق به ويحمدونه بما هو أهله، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ٥] .

ومن الملائكة من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة أجنحة بحسب ما اقتضته مشيئته وحكمته، فهو تعالى قدير لا يمتنع عليه فعل شيء أراده. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر: ١] .

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤] ، فيغطي ظلامُ الليل ضياءَ النهار يطلبه سريعاً بانتظام متعاقب مستمر، وجعل الشمس والقمر والنجوم مسيرات بقدرته، ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [الرّعد: ٢] .

وما سخّر ذلك إلا لمصالح الخلق ومنافعهم، فكلٌّ من الشمس والقمر يجري لوقت حدّده الله لا يعلمه إلا هو، فهو تعالى يدبّر أمر ملكوته وخلقه بحكمته وقدرته وحده، ويبيّن الآيات الدالة على قدرته ووحدانيته.

وما كان كل ذلك إلا احتفاءً بالمخلوق الجديد وهو الإنسان الذي تجلّت إرادته تعالى أن يكون منذ آدم عليه السلام محلاً لعنايته وإيثاره على غيره من

المخلوقات، حتى إذا خُلق فقد هيأ له من نفسه شيئاً آخر هو العقل.

والعقل هو منبع الحكمة ومصباح الهداية ونور البصيرة ووسيلة السعادة له في الدنيا، ثم في الآخرة التي سيعرفها بعد ولادته.

قبل خلق آدم وبنيه، ولأمر يريده، الله سبحانه وتعالى فلقد خلق الجان، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ (١) وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر: ٢٦، ٢٧] . الشديدة الحرّ التي تنفذ في مسامّ الأبدان، ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرَّحمٰن: ١٥] أي من لهب من نار.

ثم خلق آدم من طين، ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة: ٧] ، فلقد كان خلق آدم من تراب ثم من طين ثم من صلصال، ثم كان خلق نسل آدم من نطفةٍ تحوّلت إلى علقة ثم إلى مضغة مخلّقة وغير مخلّقة، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ . . .﴾ [الحج: ٥] .

وما كان خلق هؤلاء جميعاً ـ الجنّ والإنس ـ إلا لعبادة الله. ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريات: ٥٦] .

ومعنى عَبَدَ الله عبادة وعبودية: انقاد له وأطاعه وخضع وذلّ له، والتزم شرائع دينه، ووحّده.

فالعبادة: هي الخضوع للإلٰه على وجه التعظيم.

وهي أول ما يعرفه المؤمن كسببٍ جيء به من أجله إلى هذه الحياة. وبهذا يعرف الحكمة من خلقه ومن وجوده، ويفهم أيضاً دوره في الحياة، ويعرف أن العبادة ليست صلاة وصوماً فقط، بل هي أيضاً عملٌ وبناء، ولذلك استخلف الله الإنسان في الأرض.

---

(١) الصلصال: هو الطين اليابس الحرّ، خلط بالرمل فصار يتصلصل (يصوّت) إذا جفّ، فإذا طبخ في النار فهو الفخّار. المعجم المدرسي، مادة: صلل، ص ٦٠٣. وأما الحمأ: فهو الطين المنتن المتغيّر. المصدر نفسه، مادة: حمأ، ص ٢٧١.

# القسم الأول

## قصة الخلافة:

تعلّقت مشيئة الله سبحانه وتعالى بإيجاد هذا الكون بما فيه من الموجودات، واقتضت حكمته الباهرة أن يختار نوعاً منها فيجعله سيد هذا الكون، ويكل إليه عمارته وأمر تنظيمه، فكان الإنسان، مسخّراً له باقي الموجودات لخدمته في ذلك. فالإنسان أفضل هذه المخلوقات وأشرفها، وثبتت هذه الحقيقة بدليلين[1]:

١ - **الخبر الصادق**: لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠]. والبعض المذكور في الآية ينبغي أن يكون الملائكة لما ثبت في القرآن والسنة الصحيحة من بيان فضلهم وعظيم درجاتهم.

٢ - **برهان العقل**: لأسباب تتعلق بالنفس الإنسانية فتميزها عن سائر النفوس والموجودات الأخرى بالقوة العاقلة المدركة لحقائق الأشياء. فبالعقل كمل الإنسان وامتاز عن غيره من سائر المخلوقات واستحق هذه الخلافة.

هذا غير الملكات والصفات التي جهّزه الله بها والتي لا بد منها لتتكامل لديه المقدرة على إدارة شؤون هذا الكون وتعميره. فعن صفة العقل يتفرع العلم والإدراك والقدرة على تحليل الأشياء وسبر أغوارها والوصول إلى ما وراءها.

ولهذه الصفات شرّة كبيرة وآفات عظام[2]، وهي أسلحة ذات حدين، إن استعمل أحدهما جاء بالتنظيم العظيم للكون، وبالخير الوفير للإنسانية. وإن

---

(١) البوطي، د. محمد سعيد رمضان. كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر. ص ٢٤٥ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق. ص ٦٦.

استعمل الآخر جاء بالشّر الوبيل والفوضى لها، وهو بذلك يورث الإنسانية شقاءً لا آخر له.

ومن نتائج الخطورة في هذه الصفات أن من شأنها أن تحمل صاحبها من أن يستعمل صفة القوة في ظلم الآخرين... إلخ. ومن أجل ذلك كان لا بد من قوة أخرى توجه هذه الصفات إلى الوجهة الصالحة التي تمنع الإنسان من أن يستعمل خطورة هذه الصفات.

أخبر الله ملائكته أنه سينشىء خلقاً آخر: بشراً يسعون في الأرض ويمشون في مناكبها وينتشر نسلهم في أرجائها، يأكلون من نبتها ويستخرجون مافي باطنها من الخيرات، ويخلف بعضهم بعضاً فيها.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البَقَرَة: ٣٠]، فسألت الملائكة: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: جزء من تتمة الآية ٣٠]، فقال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٣٠].

تنطوي هذه الآية على ما يلي:

١ ـ على إرادة الله التي تجلّت في اختيار الإنسان خليفةً في الأرض وإعمار الكون.

٢ ـ يوحي ظاهر الجزء الثاني من الآية بما يلي:

٢ ـ ١ ـ إن الملائكة تسأل سؤالاً **استنكارياً** لا يخلو من **الاحتجاج** على الله تعالى لاستخلافه في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء المحرّمة، وهي تعتقد بأنها أحق بهذه الخلافة من الإنسان تصوراً منها أنها الأقدر على ذلك وأنها الأشرف لأنها المخلوقة من نور، أو خيفةً من أن تكون إرادته تعالى لتقصير وقع منها وهي تسبح بحمده وتقدس له.

لكن حقيقة السؤال أنه جاء نتيجة تشوّقها لمعرفة الحكمة من استخلاف ذلك المخلوق وتركهم من هذا الأمر.

٢ ـ ٢ ـ إن الملائكة مخلوقات إيجابية لا أخطاء ترتكبها فهي معصومة عن

الأخطاء.

٢ ـ ٣ ـ وأن صورة الإنسان سلبية بالنسبة إليها.

٣ ـ وأن سراً في هذا المخلوق غائباً عن الملائكة: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

لذلك أراد الله أن يحقق للملائكة بالفعل ويكشف لهم بالعمل ما غاب عنهم، وأن يثبت صحة اختياره للإنسان خليفة في الأرض ـ وهو تعالى منزّه عن طلب أي إثبات إليه ـ وأنه هو المؤهل لهذه الخلافة، فعلّمه الأسماء كلها، ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البَقَرَة: ٣١] ، وبذلك اغترف آدم من فيض ربه واقتبس من نور علمه.

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة: تتمة الآية ٣١] ، أي إن كنتم صادقين بأنكم أحق بالخلافة من آدم وذرّيته، فاعترفت الملائكة بعجزها عن ذلك. ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٣٢] .

وزاد الله في إثبات صحة اختياره فأمر آدم أن ينبئهم بما عجزوا عنه وعن معرفته، ويخبرهم بما قصرت مداركهم عن علمه، بياناً لفضله وإظهاراً لحكمته باستخلافه. ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: ٣٣] .

يقول العلماء في تأويل قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] إن ذلك يعني أنه تعالى قد علّمه العلم كله. وقال هذا جمهرة الفقهاء أيضاً، لأن الأسماء هي بدايات كل علم، وهذا يعني تزويده بالعقل المفكّر بما يحتويه من التناقض بين الجانبين، **الرحماني والشيطاني**، وهو بذلك مهيّأ للتمييز بين الخير والشر، مع أنه معرّض للوقوع في الخطأ.

وقد نجد في ذلك دليلاً أيضاً على أن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يمكن أن يعرف ربه ويتخلق بأخلاقه، فيكون خليفته ومنعكس أسمائه في الأرض، وأنه أهل لتعلّم الأسماء، وأشرفها أسماء الله تعالى.

ولقد استخلف الله الإنسان لا ليحكم على هواه، فلا حاكمية إلا لله. ووظيفة الإنسان تنفيذ حكم الله في الأرض. وظيفة الإنسان هي التنفيذ فقط. إنه مسؤول عن تنفيذ كل حرف من القانون الذي أنزله الله إليه وألزمه به، لا يجتهد في ذلك إلا حيث أمره بالاجتهاد، ولا يلجأ إلى شورى في الرأي أو الحكم إلا حيث لا يوجد نصّ صريح في كتاب، ولاسنة ولا إجماع.

وهذه الوظيفة هي المعني بممارسة العبودية لله ﷻ، والخروج عنها أو التمرد عليها هو التألّه والطغيان بعينه[1].

لقد خلق الله الأنسان إذاً ليعبده ويوحّده، واستخلفه في الأرض ليعمّرها. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هُود: ٦١].

## وسائل الإعمار:

إن الوسائل التي تساعد الإنسان على القيام بأداء هذه المهمة ـ مهمة عمارة هذا الكون وبناء الحضارة، هي[2]:

١ ـ اتباع المنهج الإلٰهي الذي أنزله الله على الناس بواسطة رسله وألزم الناس أن يتبعوه.

٢ ـ العلم واتباع مناهجه كلها سواء علوم الشريعة أو العلوم التجريبية الكونية، لأن الإعمار يحتاج إليهما معاً، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

٣ ـ بالعمل في شتى نواحي الحياة سواء بالزراعة أو الصناعة أو التجارة، فكل عمل من هذه الأعمال يقوم بدور من أدوار الإعمار.

---

(١) البوطي، د. محمد سعيد رمضان، كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر ص ٢٧٣.

(٢) بحلاق، عبد الحكيم، الإنسان في القرآن الكريم، دار الإرشاد بحمص، ص ٣٨ وما بعدها، بتصرّف.

# القسم الثاني

## عداوة الشيطان:

لقد تمت كلمة الله وأصبح آدم خليفة له، فأمر الله سبحانه وتعالى الملائكة أن يسجدوا لآدم، سجود تحية واحترام لا سجود عبادة وتذلّل. فسجدوا جميعاً لآدم، إلا إبليس فقد أبى واستكبر عن ذلك، إذ زعم أنه خيرٌ من آدم عنصراً وأزكى منه جوهراً. ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ * قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [صٓ: ٧٥، ٧٦] وظنّ أن لا أحد يباريه في علوّ قدره أو يستشرف إلى سموّ مكانته. ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة: ٣٥]، وحذّر الله آدم من عداوة الشيطان. ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧].

يعود أصل العداوة التي أظهرها الشيطان للإنسان منذ تجلّت إرادته تعالى باستخلاف آدم. ومذ ذاك بدأ الشيطان يبحث عما يوقعه في الزّلل والخطيئة، وأول ما قام به أن وسوس لآدم بالأكل من الشجرة المحرّمة ليبعده عن طاعة الله ويوقعه في غضبه. ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢٠، ١٢١].

**وتعود أسباب هذه العداوة إلى أمرين:**

١ ـ التيه والتكبر: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [صٓ: ٧٦].

٢ ـ الغيرة من آدم والحسد له وعدم الخضوع له:

﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الحجر: ٣٣] .

أما حقيقتها فهي عداوة الكفر للإيمان عداوة ظاهرة إلى يوم القيامة ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يُوسُف: ٥] ، وما كفّ الشيطان منذ آدم حتى اليوم من غواية الإنسان. ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠]. ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [ص: ٧٧ ـ ٧٩]، فوافق الله على طلبه اختباراً للإنسان بما سيفعله معه، ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾ [ص: ٨٠، ٨١] .

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: ٣٨].

واقتضت حكمة الله ﷻ أن يظلّ الإنسان خطّاءً غير معصومٍ عن الخطأ ـ حاشا الرسل والأنبياء ـ، ينحرف مرة ثم يتوب فيغفر الله له، وينحرف مرة أخرى فيفتضح أمره ويقام عليه الحد أو ينفذ فيه القصاص.

ولقد بيّن الله لبني آدم حقيقة الشيطان بالنسبة لهم، فهو عدو أمر الله باتخاذه عدواً، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ﴾ [فَاطِر: ٦] ، وتُنصب العداوة له بطاعة الله تعالى، فلا يطاع في معاصيه، ويؤخذ الحِذر منه في الأقوال والأفعال والعقائد.

لا يريد الشيطان للإنسان إلّا الشّر، يزيّن له الأمور حتى يقع في الشَّرك ثم يخذله، ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفُرقان: ٢٩] .

ويوم القيامة حين يُقضى الأمر ويدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يتخلى الشيطان عن كل من اتّبعه واستجاب لغواياته وأسرع إلى طاعته متبعاً شهواته ومستسلماً إلى ملذاته وأهوائه، ويومها لا الشيطان منقذ له من العذاب ولا هذا منقذ للشيطان، ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

# القسم الثالث

## الإنسان في القرآن الكريم

لقد حفل القرآن الكريم بالإنسان كما لم يحفل بغيره. وبدأ قبل كل شيء بتعريف الإنسان على ذاته، وأول آية قرآنية من حيث النزول اتجهت إلى الإنسان تعرّفه على ذاته وتشرح له أصله ومصدره وهي قول الله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾ [العلق: ١، ٢].

ثم عرّفه على الكون وعلى الحياة.

إن الذي يملك أن يعرّف الإنسان على هوية كل من: الإنسان والكون والحياة، إنما هو الذي استقل بإبداعه وصنعه.

وردت كلمة الإنسان خمساً وستين مرة في ثلاث وستين آية من آيات القرآن الكريم جاءت كلها معرّفة عدا واحدة في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ﴾ [الإسرَاء: ١٣] ، وصفه الله سبحانه وتعالى في بعضها أدق الوصف وأصدقه.

كل واحد منا سيجد هذه الصفات في نفسه أو في غيره حين يستعرضها. وهي صفات متداخلة في بعضها ومتناقضة، نذكر بعضها فيمايلي لنرى إذا كانت تؤهل الإنسان لخلافة الله في الأرض فعلاً أم لا.

١ ـ **الجمال**: قال تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التّين: ٤] فجعله أرقىٰ المخلوقات شكلاً ومضموناً.

أما من حيث الشكل، فملامحه تثبت ذلك، من تناظر العينين واليدين والأذنين وغيرها... إلى جمال الوجه وما يتألف منه ومركز كل عضو فيه، إلى جسده الكامل الهيئة.

وأما من حيث المضمون فإن جمال الإنسان قد تجلى بميزة العقل التي تُمنح لنوعٍ من سائر مخلوقات الله، فالعاقل مؤهل للتعلّم والتعليم، ولا خلافة بغير علم، ولا علم من دون عقل ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرَّحمٰن: ٣ ـ ٤] ، أي علّمه النطق والكلام مما لم يعلّمه لبقية مخلوقاته ليستطيع الإفصاح عن حاجاته ورغباته.

ثم طوّر في تعليمه، ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العَلق: ٥] فنقله بذلك من ظلمة الجهل إلى نور العلم.

٢ ـ **الجهل**: وهي صفة تناقض علمه الذي ورد في الصفة السابقة، ولكن لا بما علّمه الله من الأسماء، بل بأمر ربه أحياناً، لأن نفسه تقبل أن تُخدع كما خدعه الشيطان فتجرأ على عصيانه، وبشؤونه هو كإنسان أحياناً أخرى، ومثال ذلك حمْله الأمانة التي عُرضت على السموات والأرض فامتنعن عن حملها وأشفقن منها خوفاً من عدم القيام بواجباتها وحملها الإنسان لأنه ظلوم لنفسه جهول بأمرها وأمر ربه. ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ [الأحزاب: ٧٢].

٣ ـ **الضعف**: ولعل هذه الصفة في الإنسان هي منطلق باقي الصفات وسبب لها. ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النِّساء: ٢٨] ، والله تعالى يريد من وصفه بهذه الصفة أن يعرف أنه لا يمكنه الاستغناء عن الله القوي، وأن يشعر بحاجته الدائمة إليه تعالى.

٤ ـ **الخوف**: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠﴾ [المَعارج: ١٩، ٢٠] . فهو لا يصبر إذا أصابه فقر أو مرض أو غيرهما من الشرور.

٥ ـ **الجدل**: على الرغم من أن الله تعالى قد علّم الإنسان وأفهمه ما يتعلّق بالظواهر والمخلوقات ليتّعظ ويؤمن، إلا أن الإنسان كان أكثر المخلوقات مجادلة بالباطل، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ۝٥٤﴾ [الكهف: ٥٤].

٦ ـ **الخصومة لله**: وعلى الرغم من أنه قد خُلق من نطفة لا تُرى بالعين المجردة لصغر حجمها قبل أن تمرّ في أطوار مختلفة حتى صار إنساناً، فإذا هو مخاصم لربه ظاهر الخصومة. ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ٤].

٧ ـ **العجلة والتسرع**: إن الله يريد من الإنسان أن يجادل مجادلة العقل، أي أن يتفكّر بكل ما يصيبه من الأمور. والتفكّر يقتضي التمهّل والمحاكمة العقلانية التي تحتاج إلى الزمن المناسب لإنجازها، لكن الإنسان كان عجولاً. ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، فهو مطبوعٌ على العجلة والتسرع حتى في أمور تحمل له المضرّة في طيّاتها. ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١].

٨ ـ **البُخل**: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء: ١٠٠] أي بخيلاً ممسكاً، حتى في البرّ، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ٢١].

٩ ـ **البطر في النعمة**: فإن أسبغ الله عليه نعمه بعد ضرّ فإنه يقول إن الشدائد قد ذهبت عنه فيبطر بالنعمة مغترّاً بها فخوراً على الناس غير شاكرٍ لله، ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠].

١٠ ـ **التكبّر على الله والإعراض عنه**: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ [العلق: ٦]، أي يتجاوز الحدود في عصيانه لربّه ويستكبر عليه. ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٣] أي إنه يُعرض عن ذكر الله ويبتعد عن طاعته.

١١ ـ **ظلوم لنفسه**: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤] حين يعبد غير الله.

١٢ ـ **الجحود**: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾ [العاديات: ٦]، أي كفور جحود لنعم ربه عليه، يذكر المصائب وينسى النعم، فإن أصاب الكافر منه شدة أو جهد دعا الله أن يزيل عنه الضرّ في أية حال يكون فيها، فإذا أزال الله ما كان به من الضرّ عاد إلى ما كان عليه من الكفر والجحود. ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ

دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ﴾ [يونس: ١٢]. ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ...﴾ [الزُّمَر: ٨] .

١٣ ـ **اليأس من رحمة الله**: فإن أصابته شدة... كمرض أو فقر أو خوف كان شديد اليأس من رحمة الله. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء: ٨٣]، وإن أسبغ الله عليه رحمة منه... كنعمةٍ من صحةٍ أو من أمنٍ أو سعةٍ في الرزق، ثم سلبه إياها.. كان شديد اليأس من رحمة الله، كثير الكفران به إلا من عصمه الله من ذلك، ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر: ٥٦].

تلك هي بعض الصفات التي وردت في حق الإنسان في القرآن الكريم، ولعلنا قد لاحظنا أن واحدة منها فقط إيجابية وهي الجمال وخاصة من حيث المضمون، والباقي صفات سلبيةً.

أهذا هو الإنسان الذي استخلفه الله في الأرض؟ الجاحد.. المنافق.. البخيل... الذي كان أصله الأول من تراب وسلالته من ماءٍ مهين، والشأن فيه إن طالت به الحياة... فإنه يعود إلى أرذل العمر فلا يعلم ـ بعد علم ـ شيئاً، ويغلب عليه أنه يشمخ بأنفه ويستكبر على الرغم من ذله، ويخاصم، ويعاند، ويجادل، ويكابر!...؟

حين نؤمن بحكمة الله تعالى وننقاد إلى مشيئته يزول كل تعجب واستغراب. فمن ناحية أولى نجد أن لا علاقة للإنسان ببعض الصفات السابقة لأنه **خُلق** عليها فهي صفات مكتسبة ولا علاقة لها بإرادته. ومثلُها أنه: **خُلق**: ضعيفاً، هلوعاً، جزوعاً، عجولاً، قتوراً، منوعاً،... ومن ناحية ثانية أن هناك آياتٍ أخرى في القرآن الكريم قد بيّنت أهمية الإنسان وخطورته في هذا الكون الذي يعيش فيه، وبيّنت أيضاً أنه مؤمن وتقي يحب الله وينصاع لأوامره ...

ومن ناحية ثالثة أنه في الجانب الآخر من شخصيته مكرّم عند الله عن سائر المخلوقات، ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسرَاء: ٧٠] خاصة وأنه قد ميّزه عن سائر المخلوقات بنعمة وميزة العقل، فأدرك الإنسان نفسه من خلالها، فطاف وجال في قابل الأيام في أكثر من مجال، فسبر أغوار الأرض وأخرج من كنوزها، وطار في

السماء فتعرّف على بعض أسرارها، ووطأ القمر، ولم تنته طموحاته عند هذه الحدود.

وكل ذلك مما أفاض الله تعالى عليه، وهو ـ الإنسان ـ مهما بلغت مرتبته من السموّ ومهما اتصف به من المزايا والصفات النادرة، فليس شيء من ذلك نابعاً من ذاته، ولا هو اكتسبه أو شيئاً منه بجهده واستغلال طاقته. ولكن بعضه ـ بعض الإنسان ـ لما يزل، وللأسف.. لم يدرك الجانب الروحي في نفسه وأعداءه الكامنة فيها.

إذن...

**يتّصف الإنسان بطائفتين من الصفات**[١]:

**الأولى**: صفات هي في الحقيقة ثمرة الحدوث والمخلوقية القائمة فيه كالتحيّز في المكان والزمان، والحاجات الجسمية والنفسية المختلفة، وعوارض العجز والضعف، ومظاهر الطبع، فهذه صفات نابعة من كيانه الذي يتميز بالحدوث.

**والثانية**: صفات هي في الحقيقة من صفات الله ﷻ، الحليم، الغفور،... الهادي، البديع، الباقي، الرشيد... الصبور... ولكن الله سبحانه وتعالى قد متّع الإنسان بفيوضات يسيرة جداً منها ليتهيأ له بواسطتها أن ينهض بالتكاليف التي خلق من أجلها، ويتسنى له أن يسخر مظاهر الكون التي من حوله ويفيد منها.

ويقول عباس محمود العقاد عن الإنسان[٢]: إنه الكائن المكلّف. وإنه كائن أصوب في التعريف من قول القائلين: (الكائن الناطق) وأشرف في التقدير. وإنما الكائن المكلف شيء محدود بين الخلائق بكل حدّ من حدود العقيدة أو العلم أو الحكمة، وحادث من حوادث الفتح في الخليقة، موضوع في وضعه المكين بالقياس إلى كل ما عداه.

إن من أهم ما كلف به هذا الكائن هو الإعمار وبناء الحضارة، والقرآن الكريم حمّله مسؤولية بنائها بمعناها الشامل العام[٣]، وهي تشمل فيما تشمل إقامة

---

(١) كبرىٰ اليقينيات الكونية. سبق ذكره، ص ١١٨.

(٢) في ص ٢٣٢ من كتابه: الإنسان في القرآن.

(٣) البوطي، د. محمد سعيد رمضان. منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ص ٢٥، دار الفكر.

مجتمع إنساني سليم وإشادة حضارة إنسانية شاملة، ليس هذا فحسب، بل إن القرآن الكريم قد بصّره بعناصرها ودلّه على سبل التعاون معها، فلم يتركه لجهالته وحيرته، ولم يدعه لأوهامه وتخيلاته، بل قرن له مع هذه العناصر كتاباً مفصلاً غير ذي عوج يهديه إلى كيفية استعمالها، وإلى أفضل السبل للاستفادة منها.

يعرّف د. البوطي الحضارة بأنها[1] ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة، والمقصود بالحياة: العمر الذي يتمتع الإنسان به. فكيف حمّل القرآن الإنسان مسؤولية بناء الحضارة؟

إن الوظيفة التي حمّلها القرآن للإنسان إنما هي عمارة الأرض، ولقد نصّ في أكثر من آية منه عليها. ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هُود: ٦١]، بكل ما تسع كلمة العمارة من المعاني المادية والأخلاقية.

ولكي يقوم الإنسان بأعباء المعاني المادية لا بد له أن يتمثل أولاً بالمعاني الأخلاقية، لأن ذلك متوقف على تسامي نفسه فوق ذاتها، وعلى تخلّصها من عكر الآفات الأخلاقية، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤].

إن التمثل بأسماء الله الحسنى ولو من خلال تلك الفيوضات التي أسبغها الله على الإنسان، يتكفل بأن يتمكن الإنسان من إقامة حياته على المنهج الذي بيّنه له كتاب الله ورسوله.

يقول الغزالي: الواجب عليك أن تعرف نفسك، وتدري من أنت، ومن أين جئت إلى هذا المكان، ولأي شيء خُلقت، وبأي شيء سعادتك، وبأي شيء شقاؤك.

فإذا عرف الإنسان كل ذلك يجب عليه أن يستعد للعمل والجزاء الذيْن ينتظرانه، وهو المُجدّ في العمل. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]. أي إنك أيها الإنسان مُجدّ في عملك، ساعٍ إلى لقاء ربّك سعياً مستمراً فملاقيه به خيراً كان أو شراً، فليكن عملك فيما ينجيك من سخط الله ويحقق لك رضاه.

(١) المصدر السابق، ص ١٩.

## في مسألة العمل:

إن حياة الإنسان هي فترة اختبار لما يقوم به من العمل، ويوم القيامة يخبره الله عما قدم منه من خير أو شر، وما أخّر من سنة حسنة أو سيئة يُعمل بها بعد موته. ويجزىٰ يومها عن كل عمل قدمته يداه أو اقترفته، بالعدل. ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة: ١٣]. وهذا ما دعا القرآن الكريم إليه دون أن يحدد فضلاً لنوع منه أو يعطي ميزةً لعمل عن آخر مع الحضّ على القيام بالعمل الصالح. ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]. ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: ٣٩ ـ ٤١].

العمل الصالح هو الذي يضمن للإنسان الجنة في الدار الآخرة، والنافع من العمل هو الذي يعود بالنفع عليه وعلى الناس، ويوم القيامة سوف يُرى ماعمل في صحيفة أعماله، فيجازى عليها أتم الجزاء العادل، فلا يظنّن الإنسان أنه مُهملٌ من قبل الله ﷻ في الحياة الدنيا، غير مُكلّف، لا يُؤمر ولا يُنهى فيها، ولا مُحاسب في الآخرة، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]. فثواب أو عقاب ينتظره في الدار الآخرة على ما قام به في دنياه، فلقد ألزم الله تعالى كل إنسان عملاً سيحاسبه عليه، ويُخرج الله له يوم القيامة كتاباً مفتوحاً بيّنةً فيه نتائج أعماله، ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

ولكي يفوز الإنسان بمرضاة الله تعالى والجنة، ومن رحمات الله أن بيّن له في القرآن الكريم ما يقرب فيه منه، وهو قوله تعلى: ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [الشورى: ١٥]، وأرى أن الاستقامة تتحقق من خلال القيام بما يحبّه الله تعالى والابتعاد عما لا يحبه من الأمور، وبذلك يصلح حاله وبالتالي حال المجتمع والأمة.

## ومما يحبه الله:

١ ـ **الإحسان والمحسنين:** ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، والمحسن هو الغني، والقادر...

٢ ـ **الله تواب يحب التوبة والتوابين:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، والتوبة تقتضي الندم على فعل المعاصي والذنوب فلا يعود، التائب إلى ارتكابها.

٣ ـ **ويحب المتطهرين:** ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢] ، الذين يتنزهون عن الفواحش والأقذار. ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨] الذين يتقربون إليه بالطهارة الجسمية والروحية.

٤ ـ **الاستقامة والوفاء بالعهود والتقوى:** ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران: ٧٦] وهم الذين يطيعون أوامر الله تعالى ويجتنبون نواهيه ويوفون بعهودهم.

٥ ـ **وهو تعالى صبور يحب الصابرين** ﴿وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦] الذين يصبرون على كل أنواع الشدائد.

٦ ـ **وهو الوكيل، ويحب المتوكلين عليه:** ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩] فإذا عزم الإنسان على تنفيذ أمر بعد المشاورة والتأكد من صحة سداده، فليمض في تنفيذه متوكلاً على الله، والله يحب المتوكلين عليه في جميع أمورهم.

٧ ـ **وهو العدل، المقسط، ويحب المقسطين:** ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحُجرَات: ٩] أي اعدلوا في أحكامكم فالله يحب العادلين في ذلك.

٨ ـ **وهو قوي يحب المسلمين متوحّدين أقوياء في جهادهم في سبيله:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف: ٤].

## ومما لا يحبه الله:

١ ـ **الاعتداء والمعتدين:** ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٩٠] ، بمعنى أن لا تتجاوزوا الحدود التي شرّعها الله للناس، فهو تعالى لا يحب من يتجاوز حدود شريعته.

٢ ـ **الفساد والمفسدين:** ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٥] ، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المَائدة: ٦٤] الذين يعيثون في الأرض فساداً.

٣ ـ **وهو تعالى المؤمن، لا يحب الكفر ولا الكافرين:** ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٦] المصرّ على كفره المتمادي في الإثم. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الرُّوم: ٤٥] وسيعاقبهم بعدله على كفرهم.

٤ - **ولا يحب الظالمين:** ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٥٧] الذين يظلمون أنفسهم بارتكاب المعاصي، ولا يثبتون على الإيمان، ولا الذين يظلمون غيرهم.

٥ - **إنه هو المتعال؛ فلا يحب من كان مختالاً فخوراً:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمَان: ١٨] أي متكبراً على الناس متعالياً عليهم معجباً بنفسه.

٦ - وإنه هو المتكبّر، لا يحب المتكبرين ولا المستكبرين: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النّحل: ٢٣] وهم الذين يستكبرون عن قبول الحق.

٧ - **ولا يحب الجهر بالسوء إلا من ظلم:** ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨] أي لا يحب أن يجهر أحد لأحد بالقول السيّء إلا المظلوم فلا حرج عليه أن يخبر بما أسيء إليه، والله تعالى سميع لشكوى المظلومين.

٨ - **وهو الأمين، فلا يحب الخيانة ولا الخائنين:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النّساء: ١٠٧] الذين يرتكبون المعاصي ويخونون الناس، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفَال: ٥٨] الذين ينقضون العهد.

٩ - **ولا يحب المسرفين، ويأمر بعدم الإسراف:** ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأنعَام: ١٤١]، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام: ١٤١ والأعراف: ٣١]، الذين يتجاوزون الحلال إلى الحرام من جهة، أو الذين يتجاوزون الحدود المشروعة في الإنفاق والإمساك من جهة ثانية.

وبعد: فأي إنسان ذلك الذي يقوم بما يحب الله، ويكون على ما ذُكر من ذلك، ولا يكون ممن لا يحبهم الله؟ ألا يكون قريباً من الكمال؟ ألا تكون علاقته مع ربه مثالية تضمن له النجاح في حياته الدنيا والجنة في آخرته؟ إن ذلك ليس مستحيلاً ولا صعباً، بل هو ممكن ما سعى الإنسان إلى ذلك شاحذاً طاقاته الفكرية والنفسية والجسدية.